فضل العلماء

ومكانتهم في الشريعة

وحقوقهم على الأمة



كتبه
سعد بن شايم الحضيري
مدير مركز الدعوة والإرشاد في عرعر

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

فضل العلماء

ومكانتهم في الشريعة

وحقوقهم على الأمة

دار الكتب والوثائق القومية
الشئون الفنية
إدارة الإيداع القانوني

عنوان المصنف: فضل العلماء
تأليف: علي مصطفى الغرابي
رقم الإيداع: ١٤٤٤٣/ ٢٠١٣
الترقيم الدولي: ٤ - ٤٣ - ٥٢٣٢ - ٩٧٧ - ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

الإدارة والمبيعات جوال - ٠٠٩٦٦٥٦٧٣٣٣٤١٧ - ٠٠٢٠١١١٦٨٩٩١٠٠ - ٠٠٢٠١٠٦٩٠٥٧٥٧٣
الإسكندرية - ١٧٥ ش طيبة سبورتنج بجوار مسجد الصديق هاتف: ٠٣/٥٤٦١٥٨٣ - جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥١
القاهرة - ٦ ش المدرسة متفرع من ش البيطار - خلف الجامع الأزهر الشريف - هاتف: ٠٢/ ٢٥١٠٧٤٧٢
جوال: ٠١١١٦٨٣٣٥٥٠ - فاكس: ٠٣٤٣٨١٥٠٩
البريد الإلكتروني: dar_alhijaz@hotmail.com

فضل العلماء

ومكانتهم في الشريعة وحقوقهم على الأمة

تأليف

سعد بن شايم الحضيري

مدير مركز الدعوة والإرشاد في عرعر

مكتبة دار الحجاز

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله تعالى قد أحب من عباده العلماء واصطفاهم واجتباهم ورثةً للأنبياء، وزادهم من الخير والبر، حتى صاروا من عباده الأتقياء السعداء، وأثنى عليهم في كتابه فشرفهم وكرمهم فقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وجعل الله بقاءهم للعباد رحمة ونوراً وبركة.

وما زال الناس ينظرون إليهم نظر إجلال وتبجيل، حتى عمل أعداء الدين ومن نفذ خططهم من المغترين على زعزعة ذلك، لمّا صار على الأمة ما صار من تكاثر الفتن واندراس كثير من معالم وآثار النبوة - إلا عند من جعله الله من الطائفة المنصورة - وكثرت الأهواء وظهر في الناس الرويبضة ليحل مكان هداة الأمة، فقل في نفوس الناس مكانة العلماء، وتطاولوا

عليهم حتى ظهرت الفتن والشرور، فصار منهم من يتهم العلماء بالتقصير والمداهنة وعدم فقه الواقع وغير ذلك من صنوف الجور والغرور - وهذا شيء يتكرر في الأمة كلما كثرت الفتن وبرز رجالها ظهر الطعن في العلماء، فقد شكى منه هداة الأمة منذ أزمان فقد اكتوى به أصحاب النبي ﷺ من فئة الخوارج والبغاة حتى قتل عثمان رضي الله عنه وكُفِّرَ الأخيار، بل رأسهم ذو الخويصرة لَمَزَ النبيَّ ﷺ، فقال: اعدل يا محمد!(١)، وحكى الله أذيتهم للأنبياء وهم ينتسبون إليهم قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [التوبة: ٥٨].

وممن شكى منه أئمة من علماء هذه الدعوة السلفية في نجد، وكتبوا في ذلك مؤلفات، وإن مما قالوا في ذلك ما كتبه الشيخان الجليلان محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ وعبدالله بن عبد العزيز العنقري رحمهما الله، ومما جاء فيه:

«ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين: اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب لحرمان العلم النافع، والعلماء هم ورثة الأنبياء في كل زمان ومكان، فلا يُتلقّى العلم إلا عنهم، فمن زهد في الأخذ عنهم، ولم يقبل ما نقلوه، فقد زهد في ميراث سيد المرسلين، واعتاض عنه بأقوال الجهلة الخابطين، الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة.

---

(١) متفق عليه.

والعلماء هم الأمناء على دين الله، فواجب على كل مكلف، أخذ الدين عن أهله، كما قال بعض السلف: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم[١]، فأما من تعلق بظواهر ألفاظ من كلام العلماء المحققين، ولم يعرضها على العلماء، بل يعتمد على فهمه، وربما قال: حجتنا (مجموعة التوحيد)[٢]، أو كلام العالم الفلاني، وهو لا يعرف مقصوده بذلك الكلام، فإن هذا جهل وضلال.

ومن المعلوم: أن أعظم الكلام وأصحه، كلام الله العزيز، فلو قال إنسان ما نقبل إلا القرآن، وتعلق بظاهر لفظ لا يعرف معناه، أو أوّلهُ على غير تأويله، فقد ضاهى الخوارج المارقين، فإذا كان هذا حال من اكتفى بالقرآن عن السنة، فكيف بمن تعلق بألفاظ الكتب، وهو لا يعرف معناها، ولا ما يراد بألفاظها؟!

والكتب أيضاً: فيها من الأحاديث الصحيح والضعيف، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، فإذا لم يأخذ العامي عن العلماء النقاد، الذين هم للحديث بمنزلة الصيارفة للذهب والفضة، خبط خبط عشوى[٣]، وتاه في وادي جهالة عميا.

وقد قال الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى، في «كتاب

---

(١) هذا قول الإمام التابعي محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ رواه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه والترمذي في خاتمة كتابه (الشمائل المحمدية).

(٢) أي كتاب (مجموعة التوحيد النجدية)، ومثله من يقول حجتنا «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» أو «الدرر السنية» دون الرجوع إلى العلماء.

(٣) أي تخبط في سيرة كتخبّط الناقة العشواء وهي التي لا ترى في الليل.

أصول الإيمان»[١]: «باب قبض العلم، ثم ذكر حديث زياد بن لبيد، قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: ذلك حين أوان ذهاب العلم قلت يا رسول الله، وكيف يذهب العلم، ونحن نقريء القرآن أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم، إلى يوم القيامة؟ فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة، أو ليس هذه اليهود والنصارى، يقرءون التوراة والإنجيل، ولا يعملون بشيء مما فيهما**» رواه أحمد وابن ماجة.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله، عليكم بالعلم فإن أحدكم ما يدري متى يفتقر إليه، أو يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق. رواه الدارمي بنحوه، وفي الصحيح عن ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العِباد، ولكن يقبض العلم بموتِ العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**». انتهى.

إذا عرف هذا: تبين أن الذي يدعي أنه يستغنى (بمجموعة التوحيد)، عن الأخذ عن علماء المسلمين مخطئ، لأن النبي ﷺ ذكر أن سبب قبض العلم موت العلماء، فإذا ذهب العلماء واتخذ الناس رؤساء جهالاً، وسألوهم وأخذوا بفتواهم، ضلوا وأضلوا عياذا بالله». انتهى كلام الشيخين رحمهما الله[٢].

---

(١) ص١٥٨ تحقيق د: فيصل الجوابرة.

(٢) الدرر السنية ٩/ ١٣٣.

ولما رأيت ذلك يجري على ألسنة وتصرفات بعض طلاب العلم كتبت هذه الورقات نصيحة للأمة ومحاولة في المشاركة في كشف هذه الغمة وسميتها : (**فضل العلماء ومكانتهم في الشريعة وحقوقهم على الأمة**)، ورتبتها في فصول :

الفصل الأول: في فضلِ العِلْمِ والعلماء .

الفصل الثاني: مظاهر مكانة العلماء في الشريعة .

الفصل الثالث: حقوق العلماء في الشريعة .

الفصل الرابع: الموقف من خطأِ العالم .

الفصل الخامس: خطر تنقص العلماء وإيذائهم .

الفصل السادس: أسباب تنقص العلماء .

الفصل السابع: مواقف العلماء في الفتن .

والله الموفق لا رب سواه والحمد لله رب العالمين، وهذا أوان الشروع في المقصود وبالله التوفيق .

الفصل الأول:
في فضلِ العِلْمِ والعلماء

العلم فضله عظيم في الشريعة يظهر في أمور منها:

١-أنه فضل امتنّ الله به على عبده محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

٢- والعلم بصيرة للقلوب قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، لأنه بالعلم يبصر الحق، ويبين الباطل فيتقى ويجتنب.

٣- والعلم بينة تنكشف بها الحقائق قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الأنعام: ٥٧]. وذلك بالعلم الذي أوحاه الله إليه.

٤- والعلم نور في القلوب قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

٥- والعلم شرف يشرِّف الله به من شاء واصطفى من عباده قال الله: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

٦- والعلم رحمة من الله بعبده وهو الذي يغتبط به قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

٧- والعلم فاتحة كل خير وأساس كل طاعة وبرٍ، فلا طاعة إلا بعلم، وكلما أطاع العبد ربَّه على بصيرة وعلم كانت طاعته أرجى للقبول من الله ﷻ قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقه في الدين**» رواه البخاري.

٨- أن الله أمر نبيه أن يسأله الزيادة من العلم فقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. وهذا واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه(١).

قال العلامة ابن القيم في النونية:

والجهل داء قاتل وشفاؤه	أمران في التركيب متفقانِ
نصٌ من القرآن أو من سنةٍ	وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها	من رابع والحق ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله وفعله	وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه	وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي	جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرئٌ متذحلقٌ	بسواهما إلّا من الهذيانِ

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٤١).

والأحاديث في فضل العلم كثيرة، منها ما رواه مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من التمس طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**».

وقوله: «**طريقاً**» نكّرها ونكّر «**علماً**» لتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل والكثير، وقوله: «**سهل الله له طريقاً**» أي في الآخرة، أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة.

وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة(١).

والعلماء هم حملة العلم، فبقاؤهم علامة بقاء الشريعة لأنهم حفظتها وهم خير الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى(٢): وكل أمة قبل مبعث نبينا محمد ﷺ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم. اهـ.

وقال ابن القيم(٣): العلماء من أمته ﷺ منحصرون في قسمين:

أحدهما: حفاظ الحديث وجهابذته ونقاده الذين هم أئمة الأنام وزوامل الإسلام، الذين حفظوا على الأمة معاقد الدين ومعاقله، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، حتى ورد من سبقت له من الله الحسنى تلك

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٠).
(٢) في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» (ص ٨)، ومجموع الفتاوى (٢٠/ ٢٣٢).
(٣) في «إعلام الموقعين» (١/ ٩).

المناهل صافية من الأدناس، لم تشبها الآراء تغييراً، ووردوا فيها عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً، وهم الذين قال فيهم الإمام أحمد بن حنبل في خطبته المشهورة في كتابه في «الرد على الزنادقة والجهمية»:

«الحمد لله الذي جعل في كلِ زمانٍ فترةٍ من الرسلِ بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أَثَرَهُم على الناسِ وما أقبح أَثَرَ الناسِ عليهم، ينفون عن كتابِ الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوِية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين».

القسم الثاني: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب اهـ وسيأتي بقية كلامه إن شاء الله.

الفصل الثاني: مظاهر مكانة العلماء في الشريعة

لقد أعلى الله مكانة العلماء وبيّن ذلك في كتابه وسنة نبيهﷺ بياناً شافياً وافياً ومن ذلك:

أولاً: رفع الله لهم على غيرهم من المؤمنين:

قال اللّه تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، قال ابن عباس في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم.

ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة. وقال ابن عباس رضي الله عنه: العلماء فوق المؤمنين مئة درجة ما بين الدرجتين مئة عام(١).

وقال الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] عن زيد بن أسلم قال: بالعلم.

وفي صحيح مسلم عن نافع بن عبد الحارث الخزاعي- وكان عامِلَ عمر على مكة(٢) - أنه لقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ فقال: استخلفت ابن أبزى مولى لنا، فقال عمر: استخلفت مولى؟ قال: إنه قاريء لكتاب الله،

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (ص/ ٢٥) ط ابن الجوزي.

(٢) أي أمير على مكة.

عالم بالفرائض، فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين».

ثانياً: أنهم ورثة الأنبياء:

عن أبي الدرداء قال: سمِعْتُ رسُول الله ﷺ يقُولُ: «منْ سلَكَ طرِيقاً يبْتغِي فِيه عِلْماً سلك اللهُ له طرِيقاً إلى الْجنّةِ، وإنّ الملائِكة لتضعُ أجْنحَتَها رِضًى لِطالِبِ العِلْمِ، وإنّ العالِمَ ليسْتغْفِرُ لهُ منْ في السّمواتِ ومنْ في الأرْضِ حتّى الْحِيتانُ في الماءِ، وفضْلُ العالِمِ على الْعابِدِ، كفضْلِ الْقمرِ على سائِرِ الْكواكِبِ، إنّ العُلماء ورثةُ الأنْبياءِ، إنّ الأنبياءَ لمْ يُورِّثُوا دِيناراً ولا دِرْهماً، إنّما ورّثُوا الْعِلْم، فمنْ أخذ بِهِ فقدْ أخذ بِحظٍ وافِرٍ» رواه أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم(١).

ثالثاً: أنهم أخشى الناس لله:

قال جلّ ذِكرُه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، أي إنما يخاف من الله من علم قدرته وسلطانه وهم العلماء، قاله ابن عباس رضي الله عنه.

رابعًا: أنهم خير البرية لأن قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يدل على خشيتهم لله وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ يدل على أن من خشي ربه أنه خير البرية، قال بدر الدين ابن جماعة: فاقتضت الآيتان أن العلماء هم الذي يخشون الله

---

(١) قال ابن حجر: وحسنه حمزة الكناني. وله شواهد يتقوى بها، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ﴾ [فاطر: ٣٢].

وأن الذين يخشون الله تعالى، هم خير البرية، فينتج أن العلماء هم خير البرية(١) .

خامساً: أنهم أولياء الله والله يدافع عنهم:

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه قال: من عادى لي وليّاً فقد آذنْته بالحربِ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إلي مما افترضْته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به وبصرَه الذي يبصرُ به ويدَه التي يبطِش بها، ورِجلَه التي يمشي بها، وإنْ سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفسِ المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**» رواه البخاري.

قال الإمامان الجليلان أبو حنيفة والشافعي: إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي. وقال عكرمة: إياكم أن تؤذوا أحداً من العلماء فإن من آذى عالماً فقد آذى رسول الله ﷺ.

سادساً: أنهم هم الذين يعقلون عن الله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

سابعاً: أنهم بما عندهم من علم الشريعة لا يساويهم في الفضل من سواهم من الناس:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا

---

(١) التذكرة (ص/ ٢٥-٢٦).

ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]. وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر١٩] وعن مُعاوِية: سمِعْتُ النبيّ ﷺ يقول: «**منْ يُرِدِ اللّهُ به خيراً يُفقّهْهُ في الدّين، وإنّما أنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي. ولنْ تزال هذهِ الأمّةُ قائِمةً على أمْرِ اللّهِ لا يضُرّهمْ منْ خالفهُم حتى يأتي أمرُ اللّه**» متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: في هذا الحديث: إثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به، وأن من يفتح الله عليه بذلك لا يزال جنسه موجوداً حتى يأتي أمر الله، وقد جزم البخاري بأن المراد بهم أهل العلم بالآثار، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

وقوله: «يفقهه» أي يفهمه، ونكر «خيراً» ليشمل القليل والكثير، والتنكير للتعظيم لأن المقام يقتضيه.

ومفهوم الحديث: أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير، وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد في آخره: «**ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به**» والمعنى صحيح، لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيهاً ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير، وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم. اهـ

ثامناً: أن العلماء هم الربانيون:

قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ

تَدْرُسُونَ﴾ . [آل عمران: ٧٩]، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: قال ابنُ عبّاسٍ: كونوا ربّانِيّين حُكماء فُقهاء، ويقال: الرّبّانيّ الذي يُربّي الناس بِصغار العِلمِ قبل كِبارِهِ. اهـ

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وصله ابن أبي عاصم بإسناد حسن، والخطيب بإسناد آخر حسن، وقد فسر ابن عباس: «الرباني» بأنه الحكيم الفقيه، ووافقه ابن مسعود فيما رواه إبراهيم الحربي في «غريبه» عنه بإسناد صحيح، وقال الأصمعي والإسماعيلي: الرباني نسبة إلى الرب أي الذي يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل، وقال ثعلب: قيل للعلماء: ربانيون لأنهم يَرُبُّون العلم أي يقومون به، وزيدت الألف والنون للمبالغة. والحاصل أنه اختلف في هذه النسبة هل هي نسبة إلى الرب أو إلى التربية، والتربية على هذا للعلم، وعلى ما حكاه البخاري لتعليمه. والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها. وقيل يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده. وقال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً. اهـ

وعن أبي أُمامة الْباهِليّ قال: ذُكِر لِرسُولِ الله ﷺ رجُلانِ أحدُهُما: عابِدٌ والآخرُ عالِمٌ، فقال رسُولُ الله ﷺ: «**فضْلُ الْعالِم على العابِدِ كفضْلِي على أدْناكُمْ**»، ثُم قال رسُولُ الله ﷺ: «**إنّ الله وملائِكتهُ وأهْل السّمواتِ والأرضِين حتّى النّملة في جُحْرِها وحتّى الْحُوت ليُصلّون على مُعلِّم النّاسِ الْخيْر**» أخرجه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. قالَ: سَمِعتُ أَبَا عَمّارٍ الْحُسَيْنَ بنَ حُرَيْثٍ الْخُزَاعِيّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلّمٌ يُدْعَى كَبِيراً في مَلَكُوتِ السّمَوَاتِ. اهـ.

تاسعاً: أن الله جعل صدورهم مستودع كتابه العزيز:

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾، [العنكبوت: ٤٩].

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي هذا القرآن ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ لا خفيات ﴿فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم: سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم. فإذا كان آيات بينات، في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم؛ وإنكار غيرهم، لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلمًا، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ لأنه لا يجحدها إلا جاهل، تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، ومن هو المتمكن من معرفته على حقيقته، أو متجاهل، عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه، فخالفه». اهـ

عاشراً: أنهم عدول هذه الأمة المزكين من الله ورسوله ﷺ:

عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذرى قال قال رسول الله ﷺ: «**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين**»[١].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢١٤٣٩) وسكت عنه وسكوته تصحيح كما نبه عليه في مقدمة «دلائل النبوة»، وله شواهد عن ابن عمر عند تمام في «الفوائد» (٨٩٩) وعن أبي هريرة عند الطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩٩).
قال الخطيب سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث وقيل له كأنه كلام موضوع قال لا هو صحيح سمعته من غير واحد. اهـ
قال في «كنز العمال»: وأخرجه أيضاً الحاكم في «المستدرك»، وابن عدى في «الكامل» وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن عساكر في «تاريخه» =

قال ابن عبد البر : وكل حامل علم معروف العناية به فهو عدل، محمول في أمره أبدًا على العدالة حتى تتبين جرحته في حاله، أو في كثرة غلطه لقوله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**»(١).

قال القسطلّاني(٢) : وفيه تخصيص حَمَلَةِ السُّنّة بهذه المنقبة العلية، وتعظيم لهذه الأمة المحمدية، وبيان لجلالة قدر المحدّثين وعلوّ مرتبتهم في العالين، لأنهم يحمون مشارع الشريعة ومتون الروايات من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين، بنقل النصوص المحكمة لرد المتشابه إليها .

وقال النووي في أوّل تهذيبه : هذا إخبار منه ﷺ بصيانة هذا العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفًا من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر . وهكذا وقع ولله الحمد، وهو من أعلام النبوّة، ولا يضرّ كون بعض الفسّاق يعرف شيئًا عن علم الحديث، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أنّ غيرهم لا يعرف شيئًا منه اهـ.

= كلهم، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً. قال أبو نعيم : وروى عن أسامة بن زيد وأبي هريرة كلها مضطربة غير مستقيمة، وأخرجه ابن عدى، والبيهقي، وابن عساكر عن إبراهيم : ثنا الثقة من أشياخنا . وأخرجه الخطيب وابن عساكر عن أسامة بن زيد، وابن عساكر أيضاً عن أنس . والديلمي عن ابن عمر، والعقيلي في الضعفاء عن أبي أمامة والبزار والعقيلي أيضاً عن ابن عمر، وأبي هريرة معاً . اهـ

قال القسطلّاني : يتقوى بتعدد طرقه ويكون حسنًا، كما جزم به ابن كيكلدي العلائي . اهـ

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١/ ٢٨).

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٤).

قال العلامة ابن القيم: واستشهد الله ﷻ بأهل العلم على أجل مشهود به وهو التوحيد وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته وفي ضمن ذلك تعديلهم فإنه سبحانه وتعالى لا يستشهد بمجروح، ومن ههنا: والله أعلم يؤخذ الحديث المعروف: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل المبطلين**» وهو حجة الله في أرضه ونوره بين عباده وقائدهم ودليلهم إلى جنته ومدنيهم من كرامته. اهـ[١].

وقال أيضًا[٢]: قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ استشهد سبحانه بأولي العلم على اجل مشهود عليه وهو توحيده فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾ وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث: اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

الخامس: أنه وصفهم بكونهم أولى العلم، وهذا يدل على اختصاصهم

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٠ ط الفقي).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٨ ط دار الكتب العلمية).

به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا.

السابع: أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم.

الثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهنيه الدالة على توحيده.

التاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة لصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وإنطاقا وتعليمًا وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا.

العاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به فوجب على الخلق الإقرار به وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكل من ناله الهدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم، فلهم من الأجر، مثل أجره وهذا فضل عظيم لا يدرى قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره، أيضًا. فهذه عشرة أوجه في هذه الآية.

الحادي عشر: في تفضيل العلم وأهله أنه سبحانه نفي التسوية بين أهله

وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠]، وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم.

الوجه الثاني عشر: أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون فقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] فما ثَمَّ إلا عالم أو أعمى، وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه.

الوجه الثالث عشر: أنه سبحانه أخبر عن أولى العلم بأنهم يرون أن ما أنزل إليه من ربه حقًا وجعل هذا ثناء عليهم واستشهادا بهم فقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾.

الوجه الرابع عشر: أنه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ وأهل الذكر هم أهل العلم بما انزل على الانبياء.

الوجه الخامس عشر: أنه سبحانه شهد لاهل العلم شهادة في ضمنها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

الوجه السادس عشر: أنه سبحانه سلّى نبيه بإيمان أهل العلم به وأمره

أن لا يعبأ بالجاهلين شيئًا فقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ وهذا شرف عظيم لأهل العلم، وتحته أن أهله العالمين قد عرفوه وآمنوا به وصدقوا، فسواء آمن به غيرهم أولا.

وقال المناوي رحمه الله[1] في شرح حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها**»[2] قال البخاري في الصحيح: وهم أهل العلم «قوامة على أمر الله» أي على الدين الحق لتأمن بهم القرون وتتجلى بهم ظلم البدع والفتون «**لا يضرها من خالفها**» لئلا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة قال ابن عطاء: ففساد الوقت لا يكون إلا بنقص أعدادهم لا بذهاب إمدادهم لكن إذا فسد الوقت أخفاهم الله قال البيضاوي: أراد بالأمة أمة الإجابة، وبالأمر: الشريعة والدين، وقيل الجهاد، وبالقيام به المحافظة والمواظبة عليه، والطائفة: هم المجتهدون في الأحكام الشرعية والعقائد الدينية أو المرابطون في الثغور والمجاهدون لإعلاء الدين اهـ

وقال النووي في التهذيب: حمله العلماء أو جمهورهم على أنهم حملة العلم، وقد دعا لهم المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بقوله «**نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها**» وقد جعلهم عدولًا، ففي حديث: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**» وهذا إخبار منه بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه

(١) في فيض القدير (٦/ ٥١٣).

(٢) رواه أحمد عن أبي هريرة وأصله في الصحيح.

وأنه تعالى يوفق له في كل عصر خَلَفًا من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهذا من أعلام نبوته، ولا يضر معه كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم بأن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه لا أن غيرهم لا يعرف منه شيئًا.

وفيه فضل العلماء على الناس وفضل الفقه على جميع العلوم، وفيه أن هذه الأمة آخر الأمم، وأنه لا بد أن يبقى منها من يقوم بأوامر الله حتى يأتي أمر الله. اهـ

حاديَ عشر: أن طاعتهم واجبة في الحق والمعروف:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ يعني أهل الفقه والدين، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ يعني العلماء. والظاهر والله أعلم أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء، وقال تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ﴾ وقال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني**» فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اتبعوا كتابه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي خذوا بسنته ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾

---

(١) في تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٩).

أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما في الحديث الصحيح: «**إنما الطاعة في المعروف**». اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) بعد كلام سبق: «فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾. قال عبد الله بن عباس -في إحدى الروايتين عنه- وجابر بن عبد الله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك ومجاهد - في إحدى الروايتين عنه-: أولو الأمر هم العلماء، وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، وقال أبو هريرة وابن عباس - في الرواية الأخرى - وزيد بن أسلم والسدي ومقاتل: هم الأمراء، وهو الرواية الثانية عن أحمد.

والتحقيق أنّ الأمراء إنما يطاعون إذ أمروا بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول ﷺ، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعًا، كان صلاح العالَم بصلاح هاتين الطائفتين وفساده بفسادهما كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحا صلح

---

(١) في «الإعلام» (١/ ١٠-١١).

الناس وإذا فسدا فسد الناس قيل: من هم؟ قال الملوك والعلماء». اهـ

ثانيَ عشر: إرجاع الأمة لهم في السؤال:

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وعموم هذه الآية، فيها مدح أهل العلم، وأن أعلى أنواعه، العلم بكتاب الله المنزل، فإن الله أمر من لا يعلم، بالرجوع إليهم، في جميع الحوادث، وفي ضمنه، تعديل لأهل العلم، وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال، وأفضلُ أهلِ الذكرِ أهلُ هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة، وأولى من غيرهم بهذا الاسم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم، الظاهرة والباطنة. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وهذا شامل لتبين ألفاظه، وتبيين معانيه». اهـ.

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ من سورة [الأنبياء: ٧]: «وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها. ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم. ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه. وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهى عن سؤال المعروف بالجهل، وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك». اهـ.

الفصل الثالث:
حقوق العلماء في الشريعة

إن للعلماء في الشريعة حقوقاً لازمة منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، لما خصهم الله به من كرامته بحفظهم دينه ونشره بين الناس، فمن تلك الحقوق:

أولاً: الموالاة والحب في الله:

لا يختلف مسلمان في الإقرار بوجوب موالاة المسلمين بعضهم بعضاً، موالاة تآخ وتحاب وتراحم وتناصر، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وعلماء المسلمين أحق الناس بالموالاة، فهم المؤتمنون على دين هذه الأمة الذي هو عصمة أمرها ومصدر قوتها وسؤددها، وهم أولياء الله ﷻ، من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى مولاهم، كما ورد في الحديث الإلهي: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**» رواه البخاري، وقد تقدم.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»:

«يجب على المسلمين بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن خصوصاً العلماء الذين هم ورثة الأنبياء الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ فعلماؤها شرارها

إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول فى أمته والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته دقيق ولا جليل فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ، وعلى أن كلّ أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد له من عذر فى تركه» اهـ.

ثانياً: توقيرهم والأدب معهم(١):

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٢٢] قال سعيد بن جبير: لا تقولوا مصيحف ولا مسيجد ما كان لله فهو عظيم حسن جميل.

وعن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا**»(٢).

قال الشيخ أبو زكريا النووي رحمه الله في رياض الصالحين:

«باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظها رمرتبتهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب**

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٣٨) وحرمة أهل العلم ص١٩٧.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣) والحاكم (١/ ١٢٢) وحسنه الألباني.

الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً ولا يؤمنّ الرجلُ الرجلَ في سلطانه ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه» رواه مسلم وفي رواية له «فأقدمهم سلماً» بدل «سناً» أي إسلاما.

وعن أبي يحيى وقيل أبي محمد سهل بن أبي حثمة بفتح الحاء المهملة وإسكان الثاء المثلثة الأنصاري رضي الله عنه قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة ابن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلاً فدفنه، ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال: «كبِّرْ كبِّرْ» وهو أحدث القوم فسكت فتكلما فقال: «أتحلفون وتستحقون قاتلكم» وذكر تمام الحديث متفق عليه وقوله ﷺ كبر كبر معناه يتكلم الأكبر.

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر ثم يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن»؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد. رواه البخاري.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما» رواه مسلم مسندا والبخاري تعليقا.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام

ذي السلطان المقسط» حديث حسن رواه أبو داود.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**»، حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وقال الترمذي حديث حسن صحيح وفي رواية أبي داود: «**حق كبيرنا**».

وعن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مر بها سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أنزلوا الناس منازلهم**» رواه أبو داود لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم. وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث وقال: هو حديث صحيح.

وعن أبي سعيد سمرة بن جندب رضي الله عنه قال لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالاً هم أسن مني متفق عليه.

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أكرم شابٌ شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه**» رواه الترمذي وقال حديث غريب اهـ

وقال الحافظ علي ابن حزم: اتفقوا على توقير أهل القرآن والإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الخليفة والفاضل والعالم.

قال طاوس ابن كيسان: إن من السنة أن توقر العالم[(١)].

---

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله باب في هيبة المتعلم للعالم.

وعن الحسن قال: رئي ابن عباس يأخذ بركاب أبي بن كعب فقيل له أنت ابن عم رسول الله ﷺ تأخذ بركاب رجل من الأنصار؟ فقال: إنه ينبغي للحبر أن يعظم ويشرف(١).

وعن الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة ثم قربت إليه بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال له زيد: خل عنك يا ابن عمِّ رسول الله فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء. وفي رواية: إنا هكذا نصنع بالعلماء(٢).

وعن الليث قال: كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين، ثم يجلس فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فلا يجترئ أحد منهم أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدئهم بحديث أو يجيئه سائل فيسأل فيسمعون(٣).

وعن محمد بن سيرين: رأيت عبد الرحمن ابن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه ويسودونه ويشرفونه مثل الأمير(٤).

وقال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم (يعني النخعي) كما يهاب الأمير(٥).

وعن عبد الله المعيطي قال: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة فأتاه سفيان ابن

---

(١) «الجامع لإخلاق الراوي والسامع» للخطيب البغدادي.
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.
(٣) الجامع للخطيب.
(٤) الجامع للخطيب.
(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي.

عيينة فبرك بين يديه فجعل أبو بكر يقول: ياسفيان كيف أنت، فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث، فقال سفيان: لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعداً(١).

وعن الحسن بن علي الخلال قال: كنا عند معتمر بن سليمان يحدثنا إذ أقبل ابن المبارك فقطع معتمر حديثه فقيل له: فقال: إنا لا نتكلم عند كبرائنا(٢).

وانظر إلى أئمة فقهاء المسلمين كيف تلقوا الأدب مع أشياخهم كما يتلقون العلم! فهذا الإمام الشافعي يقول: ما أعلم أني أخذت شيئاً من القرآن ولا الحديث أو النحو أو غير ذلك من الأشياء مما كنت أستفيد إلا استعملت فيه الأدب وكان ذلك طبعي إلى أن قدمت المدينة فرأيت من مالك ما رأيت من هيبته وإجلاله العلم فازددت من ذلك حتى ربما كنت أكون في مجلسه فأصّفّح الورقة تصفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها(٣).

وعن الربيع ابن سليمان قال: والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له(٤).

وقال أحمد بن حنبل: لزمت هشيماً أربع سنين ما سألته عن شئ إلا مرتين هيبة له(٥).

وقال عبدوس العطار تلميذ أحمد: رآني أبو عبد الله (يعني أحمد) يوماً

---

(١) الجامع للخطيب.

(٢) الجامع للخطيب.

(٣) توالي التأسيس لابن حجر.

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي.

وأنا أضحك فأنا أستحييه إلى اليوم.

قال أبو زكريا العنبري: شهدت جنازة حسين القباني فصلى عليه أبو عبد الله (يعني المحدث محمد البوشنجي) فلما انصرف قدمت دابته فأخذ أبو عمرو الخفاف بلجامه وابن خزيمة إمام الأئمة بركابه والجارودي وإبراهيم ابن أبي طالب يسويان عليه ثيابه فمضى ولم يكلم أحداً منهم(١).

وإبراهيم بن أبي طالب المذكور من أهيب العلماء كما قال أحمد ابن إسحاق الفقيه: ما رأيت في المحدثين أهيب من إبراهيم ابن أبي طالب كنا نجلس كأن على رؤوسنا الطير لقد عطس أبو زكريا العنبري فأخفى عطاسه فقلت له سراً لا تخف فلست بين يدي الله(٢).

وهذا مجلس ضم أربعين فقيهاً كيف يأخذون بالأدب مع شيخهم، فعن الإمام أبي حازم الأعرج قال: لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه متماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا(٣).

وانظر إلى مجلس جمع كبار حفاظ وفقهاء الإسلام كيف يوقرون شيخهم قال: إسحاق الشهيد: كنت أرى يحيى القطان يصلى العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده فيقفَ بين يديه على ابن المديني، والشاذكوني، وعمرو ابن على وأحمد ابن حنبل ويحيى ابن معين وغيرهم يستمعون الحديث وهم

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر.
(٢) التذكرة للذهبي.
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي.

قيام على أرجلهم إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لأحد منهم اجلس ولا يجلسون هيبة وإعظاماً(١).

قال أبو مصعب كانوا يزدحمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا، قائلين برؤوسهم هكذا وكانت السلاطين تهابه وكان يقول: لا ونعم، ولا يقال له من أين قلت ذا(٢).

وعن حجاج بن عمرو بن غزية أنه كان جالسا عند زيد بن ثابت فجاءه ابن فهد رجل من اليمن فقال يا أبا سعيد إن عندي جواري ليس نسائي اللائي أكن بأعجب إلي منهن وليس كلهن يعجبنني أن تحمل مني أفأعزل فقال زيد أفته يا حجاج قال قلت غفر الله لك إنما نجلس إليك لنتعلم منك فقال أفته قال قلت هو حرثك إن شئت سقيته وإن شئت عطشته وكنت أسمع ذلك من زيد بن ثابت فقال زيد صدق(٣).

وقال عمرو الناقد: كنا عند وكيع وجاء أحمد ابن حنبل فقعد وجعل يصف من تواضعه بين يديه قال عمرو فقلت: يا أبا عبد الله إن الشيخ يكرمك فمالك لا تتكلم؟ قال: وإن كان يكرمني فينبغي لي أن أجله(٤).

وقال قتيبة ابن سعيد قدمت بغداد وما كانت لي همة إلا أن ألقى أحمد ابن حنبل فإذا هو جاءني مع يحيى ابن معين فتذاكرنا فقام أحمد بين يدي

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي.
(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عد البر.
(٣) جامع بيان العلم.
(٤) مناقب الإمام أحمد.

وقال: أملِ عليّ هذا، ثم تذاكرنا فقام أيضاً وجلس بين يدي فقلت: يا أبا عبد الله اجلس مكانك! فقال: لا تشتغل بي إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه[١].

ولما حج الإمام الأوزاعيُّ إمام أهل الشام وبلغ الإمام الثوريّ إمام أهلِ العراق خبرُ مقدمه خرج حتى لقيه بذي طوى فحل سفيان رأس البعير عن القطار[٢] ووضعه على رقبته وكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ[٣].

وقال الحاكم سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول سمعت أبي يقول رأيت مسلم بن الحجاج بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي[٤].

وهذه قصة مليحة رواها الحاكم في «علوم الحديث» فقال: حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الوراق قال سمعت أبا حامد أحمد بن حمدون القصار يقول سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله، حدثك محمد بن سلام قال ثنا مخلد بن يزيد الحراني قال أخبرنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في كفارة المجلس فما علته قال محمد بن إسماعيل هذا حديث مليح ولا أعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث الا أنه معلول حدثنا به موسى بن إسماعيل قال حدثنا وهيب قال ثنا سهيل عن

---

(١) مناقب الإمام أحمد.

(٢) قطار القافلة، وهو أن تربط الإبل بعضها ببعض وتسير ممتابعة.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي.

(٤) سير أعلام النبلاء.

عون بن عبد الله قوله قال محمد بن إسماعيل هذا أولى فإنه لا يذكر لموسى ابن عقبة سماعا من سهيل . اهـ

وقال عاصم بن أبي النجود قال ما قدمت على أبي وائل من سفر إلا قبل كفي(١) .

وقال ابراهيم بن الأشعث رأيت سفيان بن عيينه يقبل يد الفضيل مرتين(٢) .

وعن ابن المبارك قال اذا نظرت الى الفضيل جدد لي الحزن ومقت نفسي ثم بكى(٣) .

قال أبو عبيد ابن سلام : ما دققت على محدث بابه قط ، وفي رواية ما أتيت عالماً قط فاستأذنت عليه ، ولكن صبرت حتى يخرج إلي وتأولت قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(٤) ، [الحجرات: ٥].

وعن ابن عباس قال إن كنت لآتي الرجل من أصحاب النبي ﷺ فإذا رأيته نائماً لم أوقظه وإذا رأيته مغموماً لم أسأله وإذا رأيته مشغولاً لم أسأله(٥) .

وعن يحيى بن سعيد القطان سمعت شعبة يقول كل من سمعت منه حديثاً فأنا له عبد(٦) .

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) الجامع للخطيب وطبقات المفسرين للداودي.

(٥) الجامع للخطيب.

(٦) الجامع لابن عبد البر.

وعن ابن جريج قال لم أستخرج الذي استخرجت من عطاء ألا يرفقي به[١].

وعن ميمون بن مهران قال لا تمار من هو أعلم منك فإذا فعلت ذلك خزن عنك علمه ولم تضره شيئاً[٢].

وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تِلحَّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشينَّ له سراً، ولا تغتابن، عنده أحداً، ولا تطلبن عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله، ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[٣].

واعلم أن الأدب مع العلماء يكون للأحياء والأموات فيعطى كلٌ حقه حسب ما تقتضيه الحال والمقام.

فحق علينا أن نذكرهم بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله، وهو يبين عقيدة أهل السنة والجماعة قال: «وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين، أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل» اهـ أي ضل سبيل الأمة الذين يعصمهم الله سبحانه وتعالى من الزلل والهوى،

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

(٣) جامع بيان العلم وفضله.

فذكر العلماء والأموات بالسوء وتتبع عثراتهم بقصد التشفي والتشهير لا خير فيه؛ إنما يبحث الإنسان عن علم العالم وينصفه، فإن كانت عند العالم أخطاء بينها إن كان من أهل البيان وإلا سكت وجوباً، وإن كان هناك مخرج له من تأويل دليل في كتاب الله وسنة النبي ﷺ أنصفه وبين دليله وبين حجته.

وتعظيم العلماء شعيرة من شعائر الإسلام والاستهانة بهم واحتقارهم وذكرهم كعامة الناس على غير منهج السلف وعلى غير السنة، ولذلك قال الله تعالى يؤدب أصحاب النبي: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] والعلماء ورثة الأنبياء فيذكر العالم بألقاب المدح والتبجيل بما يدل على علمه ورفعة قدره وأنه ليس كعامة الناس فهذا حق من حقوقه وقد تقدم قول النبي ﷺ: «**إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الجافي عنه ولا الغالي فيه**» والعالم حامل لكتاب الله حامل لسنة النبي ﷺ يحيي الله به السنة ويميت به البدعة، فإجلاله إجلال للدين بل إجلال لله كما في الحديث، ولذلك إذا ذكر العالم بما يليق به من وصف الشرف والتكريم أحست الناس بهيبة العلم وأحست بمكانة العالم وإذا ذكر كما يذكر عوام الناس لم يفرق بينه وبين العوام نقصت حرمته، وهذه مظلمة في حق العلماء.

وعلينا إذا جالسنا العلماء أن نأخذ معهم بآداب مجلس العلم التي ينبغي أن تجل وتكرم بالحدود الشرعية، ولذلك قال الله لنبيه موسى عليه السلام: ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [طه ١١-١٢].

ثالثاً : الدعاء لهم(١) :

إن العلماء لهم فضل على الأمة ولولا الله ثم هم ما استطعنا أن نعرف شعائر ديننا فقد حفظوا لنا القرآن وفسروه لنا ونقلوا حديث رسول الله ﷺ وبينوا صحيحه من ضعيفه وشرحوه لنا، وبينوا أحكام الشريعة في الجليل والصغير في جميع جوانبها، فينبغي لنا أن نترحم عليهم وندعو لهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ١٠] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**» رواه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والنووي.

قال إسحاق ابن راهويه: قل ليلة إلا وأنا أدعو لمن كتب عنا ولمن كتبنا عنه.

وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: ما صليت منذ مات حماد (يعني شيخه حماد ابن أبي سليمان) إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني علماً.

وقال تلميذه أبو يوسف القاضي: إني لأدعو لأبي حنيفة قبل والدي، ولقد سمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحماد مع أبوي.

---

(١) انظر «مناقب الإمام أبي حنيفة» للخوارزمي بواسطة «الإعلام بحرمة أهل العلم» (ص/ ١٩٥).

وقال يحيى القطان: أنا أدعو الله للشافعي، أخصه به.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: إني لأدعو للشافعي في صلاتي. وهو أكبر من الشافعي بخمس وثلاثين سنة لأنه طلب من الشافعي أن يكتب له علم الأصول فكتب له الرسالة الأولى.

وقال الإمام أحمد ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له.

وكان بعض العلماء إذا نظر في الكتاب وقرأ فيه يقول وهو يقرأ: رحمة الله عليه، كل ما فرغ من مسألة يترحم عليه فسئل عن ذلك فقال: ما فرغت من مسألة وظننت فضله عليّ إلا ترحمت عليه وهذا قليل من حقه عليّ.

رابعًا: نسبة العلم المستفاد لهم ولا يبخسون حقهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [هود: ٨٤] قال الشوكاني رحمه الله: «وفيه النهي عن البخس على العموم والأشياءِ، أعم مما يكال ويوزن، فيدخل البخس بتطفيف الكيل والوزن في هذا دخولا أولياً» اهـ.

قال حافظ المغرب يوسف بن عبد البر رحمه الله: «يقال إن من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله»(١).

خامساً: معرفة قدرهم(٢):

قال إسحاق بن راهويه: سمعت يحيى بن آدم يقول أحمد بن حنبل إمامنا.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٢) ط دار الكتب العلمية

(٢) انظر طبقات الحنابلة (١/ ١٧و٢٨١).

قال محمد بن إسحاق بن ابراهيم ابن راهويه: سمعت أبي يقول: أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبيده في أرضه. وقال علي بن المديني أحمد بن حنبل سيدنا. وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم قال سمعت أبي يقول أحمد بن حنبل أكبر من الشافعي تعلم الشافعي أشياء من معرفة الحديث من أحمد بن حنبل وكان الشافعي فقيهًا ولم تكن له معرفة بالحديث فربما قال لأحمد: هذا الحديث قوي محفوظ فإذا قال أحمد نعم جعله أصلًا وبنى عليه. وعن إسحاق بن حنبل قال: كان الشافعي يأتي أبا عبدالله عندنا ههنا عامة النهار يتذاكران الفقه.

وعن فضل بن زياد عن أحمد أنه جالس الشافعي بمكة فأخذ عنه الفقه وكلام قريش وأخذ الشافعي منه معرفة الحديث.

قال أبو بكر الأثرم: لقد أُخبرت أن وكيع بن الجراح كان ربما سأل أحمد وأن عبد الرحمن ابن مهدي كان يحكي عنه ويحتج به ويقدمه في العلم ويصفه به ونحو ذلك.

قلت: وهؤلاء هم شيوخ أحمد رحمهم الله، لكنهم يعرفون فضل العالم فيتواضعون له ويأخذون عنه فرفعهم الله وأعلى ذكرهم.

سادساً: التماس العذر لهم:

إن العالم بشر يعتريه ما يعتريهم من النقص والضعف بل هو أكملهم حالاً وأخطرهم وأشدهم تعرضاً لمواطن الزلازل المزلزلة، فينبغي أن يعذر إذا بدر منه ما ينتقد أولم يستطع أن يقوم بالواجب ويحسن به الظن لأنه ناظر للأمة في مصالحها الدينية والدنيوية ومسؤول عنها أمام الله، فإذا اجتهد في أمر من

الأمور ولم يصل فهم الناس لإدراك ذلك ينبغي لهم التماس العذر لأن مواطن الاجتهاد هي التي يتميز بها العلماء عن العوام وأشباههم.

قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين: في شرح حديث ابن عباس مرفوعاً: «**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» قال: تقديره إن الله رفع لي عن أمتي الخطأ أو ترك ذلك عنهم فإن تجاوز لا يتعدي بنفسه وقوله (الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) فأما الخطأ والنسيان فقد صرح القرآن بالتجاوز عنهما قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إذا حكم الحاكم ثم اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد وحكم فأخطأ فله أجر**»، وقال الحسن لولا ما ذكر الله من أمر هذين الرجلين يعني داود وسلمان لرأيت أن القضاة قد هلكوا فإنه أثني على هذا بعمله وعلي هذا باجتهاده يعني قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾. اهـ.

عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال: كان معاذ لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلّا قال: الله حكم قسط هلك المرتابون.

فقال معاذ يومًا إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني، وقد قرأت القرآن؟! ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره! فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة،

وأحذركم زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم! وقد يقول المنافق كلمة الحق! قال يزيد: قلت يا معاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟! قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات أو قال المشتبهات، التي يقال لها: ما هذه؟! ولا يثنينّك ذلك عنه! أو قال: ولا ينئينَّك ذلك عنه، فإنه لعله يراجع! وتلَقَّ الحقَّ إذا سمعته فإن على الحقِّ نورًا. رواه أبو داود بسند صحيح.

سابعاً: التأدب مع العلماء عند الاعتراض والاستشكال:

فبعض طلاب العلم-أصلحهم الله- بمجرد أن يحفظ القليل من العلم ويجلس في الكلية على مقاعد الدراسة أو يجلس في المسجد بين يدي العالم تجده يستشكل بطريقة المعترض مع أنه لم يفهم كلام العالم ولم يضبط الكلام الذي يعترض عليه وهذه من الآفات.

طالب العلم إذا أراد أن يسأل ويستشكل ينبغي أن يشعر العالم أنه يستشكل أما أن يقول إن هذا القول يخالف كذا وكذا!! فهذا إتهام للعالم بمخالفة العلم، فينبغي أن يقول أشكل علي كذا وكذا وكيف نوفق بين قول كذا وكذا؟؟ أما أن يأتي بأسلوب الهجوم وبأسلوب التقريع والتوبيخ لذلك كم من أناس من أهل العلم وأهل الفضل سئموا من بعض طلاب العلم تعليمهم بسبب هذه الأساليب المنكرة التي لا تمت إلى آداب العلم بصلة.

ينبغي التأدب عند الاعتراض وعند الاستشكال وأن تعلم أن هذا الذي أمامك إنسان له حق عليك وله واجب ينبغي أن تحفظه وأنت وقره خاصة بين الأقران والزملاء.

ثامناً: الدفاع عنهم والذب عن أعراضهم:

عن أبي الدرداء: عن النبي ﷺ قال: «**من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقاً على الله ﷻ أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة**». أخرجه أحمد والترمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ. والعلماء أحق المسلمين بالرد عن أعراضهم.

الفصل الرابع:
الموقف من خطأِ العالم

إن العالم إنسان يعتريه ما يعتري الإنسان من السهو الخطأِ وليس بمعصوم وهذا لا يعني أنه مبتذل كالعوام بل له حرمة شرعية تحفظ له، وتراعى بل لا يجوز التعرض لعموم المسلمين بنشر زلاتهم وغيبتهم فكيف بالعلماء، فإذا حصل أن وقع العالم في خطأٍ (ولابد) فالواجب التعامل معه التعامل المشروع.

قال شيخ الإسلام في «رفع الملام» لما ذكر الأسباب العلمية التي قد يترك العالم بسببها الأخذ ببعض النصوص اجتهاداً: «وليس لأحد أن يعارض الحديث عن النبي ﷺ بقول أحد من الناس كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة فأجابه فيها بحديث! فقال له: قال أبو بكر وعمر! فقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر.

وإذا كان الترك يكون لبعض هذه الأسباب فإذا جاء حديث صحيح فيه تحليل أو تحريم، أو حكم فلا يجوز أن يعتقد أن التارك له من العلماء الذين وصفنا أسباب تركهم يعاقب لكونه حلل الحرام أو حرم الحلال أو حكم بغير ما أنزل الله.

وكذلك إن كان فى الحديث وعيد على فعل من لعنةٍ أو غضب أو عذاب، ونحو ذلك، فلا يجوز أن يقال: إن ذلك العالِم الذي أباح هذا أو فعله داخل

فى هذا الوعيد، وهذا مما لا نعلم بين الأمة فيه خلافًا إلا شيئا يحكى عن بعض معتزلة بغداد مثل المريسي وأضرابه، أنهم زعموا أن المخطىء من المجتهدين يعاقب على خطئه، وهذا لأن لحوق الوعيد لمن فعل المحرم مشروط بعلمه بالتحريم أو بتمكنه من العلم بالتحريم فان من نشأ ببادية أو كان حديث عهد بالإسلام وفعل شيئا من المحرمات غير عالم بتحريمها لم يأثم ولم يحد وإن لم يستند في استحلاله إلى دليل شرعي، فمن لم يبلغه الحديث المحرِّم، والسند في الإباحة إلى دليل شرعي أولى أن يكون معذورًا، ولهذا كان هذا مأجورًا محمودًا لأجل اجتهاده، قال الله سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] فاختص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم وفى الصحيحين عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»(١) فتبين أن المجتهد مع خطئه له أجر وذلك لأجل اجتهاده وخطؤه مغفور له لأن درك الصواب فى جميع أعيان الأحكام إمّا متعذر أو متعسر، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وفى الصحيحين عن النبى أنه قال لأصحابه عام الخندق «**لا يصلين أحد العصر إلا فى بني قريظة**» فأدركتهم صلاة العصر فى الطريق فقال بعضهم: لا نصلي إلا فى بني قريظة، وقال بعضهم: لم يرد منا هذا فصلوا فى الطريق، فلم يُعِب واحدةً من

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص.

الطائفتين . فالأولون تمسكوا بعموم الخطاب، فجعلوا صورة الفوات داخلة فى العموم، والآخرون كان معهم من الدليل ما يوجب خروج هذه الصورة عن العموم، فإن المقصود المبادرة الى القوم، وهي مسألة اختلف فيها الفقهاء اختلافًا مشهورًا هل يخص العموم بالقياس؟ ومع هذا فالذين صلوا فى الطريق كانوا اصوب وكذلك بلال ﵁ لما باع الصاعين بالصاع أمره النبى ﷺ برده ولم يرتب على ذلك حكم آكل الربا، من التفسيق واللعن والتغليظ، لعدم علمه بالتحريم، وكذلك عدي بن حاتم وجماعة من الصحابة لما اعتقدوا أن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] معناه الحبال البيض والسود فكان أحدهم يجعل عاقلين أبيض وأسود ويأكل حتى يتبين أحدهما من الآخر فقال النبى لعدي: «**إن وسادك إذا لعريض إنما هو بياض النهار وسواد الليل**»[١] فأشار إلى عدم فقهه لمعنى الكلام، ولم يرتب على هذا الفعل ذم من أفطر فى رمضان وإن كان من أعظم الكبائر، بخلاف الذين أفتوا المشجوج فى البرد بوجوب الغسل، فاغتسل فمات فانه قال: «**قتلوه قتلهم الله هل سألوا إذ لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال**»[٢] فإن هؤلاء أخطأوا بغير اجتهاد إذ لم يكونوا من أهل العلم». اهـ

إذا تبين هذا فلا بد من القصد والاعتدال في التعامل مع العلماء فهم بشر يصيبون ويخطئون ويحسنون ويسيئون، وإذا كان الغالب عليهم الصواب والإحسان، فلا ضير من التجاوز عن يسير هفواتهم، فمن كثر صوابه غفر له

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠٩) ومسلم (١٠٩٠).
(٢) أخرجه أحمد (٣٠٥٦) وأبو داود (٣٣٧) والبيهقي (١/ ٢٢٧) بسند حسن.

يسير خطأه، قال الشاعر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها　　　كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه

ولا بد للعامة ولطلبة العلم من إكرام العلماء العاملين، فإن العالم لا يخرج علمه إلا لمن يستحق، ومن لا يكرم العلماء فليقنع بالجهل فهو له مستحق، قال الشاعر:

إن المعلم و الطبيب كلاهما　　　لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه　　　واقنع بجهلك إن جفوت معلما

وإذا أخطأ العالم وجب إسداء النصح إليه مع مراعاة آدابه الشرعية ولعل أهمها:

١- التثبت، فلا تذهب إليه قبل أن تتأكد من صحة ما نسب إليه، مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

٢- وكذلك الإسرار في النصيحة، فمن نصحك في سرك فقد نصحك ومن نصحك أمام الناس فقد فضحك، كما قال الشافعي:

تعمدني النصيحة بانفراد　　　وجنبي النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع　　　من التوبيخ لا أرضى استماعه

٣- اللطف والرفق وحسن العبارة. «فما كان الرفق في شيء إلّا أنه، وما نزع من شيء إلا شأنه» كما قال النبي ﷺ.

٤- ذكر الحجة والدليل بلا مماراة وجدال، لأن المقصود النصيحة للانتصار عليه.

قال الشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ[(١)] : «وإذا نُسب لك شئٌ من عالم تستنكره، فالواجب عليك أن تتخذ هذه المراحل:

المرحلة الأولى: أن تتثبت من نسبته إليه، فكم من أشياء نسبت إلى عالم وهي كذب، فلا بد أن تتأكد.

فإذا تأكدت فثم مرحلة أخرى أن تتأمل: هل هذا محل انتقاد أم لا، لأنه قد يبدو للإنسان في أول وهلة أن هذا القول منتقد، وعند التأمل يرى أنه حق، فلا بد أن تتأمل حتى تنظر هل هو منتقد أم لا.

المرحلة الثالثة: إذا تبين أنه ليس بمنتقد فالواجب أن تذب عنه، عن العالم، وتنشر هذا بين الناس، وأن ما قاله هذا العالم هو حق، وإن خالف ما عليه الناس.

المرحلة الرابعة: إذا تبين لك حسب رأيك أنه ليس بحق، أي ما نُسب إلى العالم وصحت نسبته إليه، ليس بحق، فالواجب أن تتصل بهذا العالم بأدب ووقار، وتقول سمعت عنك كذا وكذا، وأحب أن تبين لي وجه ذلك، لأنك أعلم مني، فإذا بين لك هذا فلك حق المناقشة، لكن بأدب، واحترام، وتعظيمٍ، تعظيمٍ له بحسب مكانته وبحسب ما يليق به.

أما ما يفعله بعض الجهلة الذين يأتون إلى العالم بعنف وشدة، وربما

---

(١) في شرح الأربعين النووية. (ص ١١٨) في شرح حديث: «**الدين النصيحة**».

نفضوا أيديهم في وجهه، وقالوا ما هذا الذي أحدثته، ما هذا القول المنكر، أنت ما تخاف الله، هذا خلاف الحديث، وإذا تأملنا وجدنا أنه موافق للحديث وهم المخالفون له.

وغالب ما يؤتى هؤلاء من إعجابهم بأنفسهم(١).

أما يخشىٰ هؤلاء أن يتعرضوا لسخط الله بإيذاء أوليائه العلماء وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] وقال في الحديث القدسي: **«من آذى لي وليًا فقد آذنته بالحرب»** رواه البخاري.

❀ ❀ ❀

(١) وانظر كلاماً للشيخ ابن عثيمين رحمه الله في (كتاب العلم) ص/ ٢١٥-٢١٦.
ومجموع الفتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢٦/ ٢٤٢ - ٢٤٣).

الفصل الخامس:
خطر تنقص العلماء وإيذائهم

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من آذى فقيها فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد آذى الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩] قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ أي: الأمور الشنيعة المستقبحة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم. فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟!! وسواء كانت الفاحشة، صادرة، أو غير صادرة. وكل هذا، من رحمة الله لعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له، ما يكره لنفسه. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلونه. اهـ

قال الإمام المحدث ابن عساكر: «واعلم وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك

أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق عليهم لسانه بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم».

ونقل ابن القيم عن أحمد بن شعيب. قال: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بهذا الحديث[١] وفي المجلس شخص من المعتزلة فجعل يستهزىء بالحديث فقال والله لأطرقن غداً نعلي وأطأ بها أجنحة الملائكة، ففعل ومشى في النعلين فَحَفَتْ رِجلاه ووقعت فيهما الأكلة. وقال الطبراني: سمعت ابن يحيى الساجي يقول: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزىء بالحديث فما زال عن موضعه حتى حفت رجلاه وسقط إلى الأرض انتهى.

وقال النبي ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»** رواه مسلم.

وقال ﷺ في حجة الوداع: **«إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. . ألا هل بلغت»**. متفق عليه.

فالغيبة محرمة، وغيبة العلماء من أشد أنواع الغيبة، يقول جل وعلا: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾.

(١) يعني حديث «إن الملائكة لتصنع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع».

وقال النبي ﷺ: «**أتدرون ما الغيبة**»؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**». أخرجه البخاري مسلم.

وفي سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**لما عُرِجَ بي إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر، لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم، بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي، والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضًا، وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه، فإن غيبة الرجل لهذا العالم تكون حائلًا بين الناس وبين علمه الشرعي، وهذا خطر ه كبير وعظيم». اهـ.

قال الشيخ صالح الفوزان(٢): «إذا حصل الانفصام بين الأمة وبين علمائها، خصوصا بين الشباب وبين علمائها حصل الشر وتمكن الشيطان من إغواء بني آدم، أما إذا حصل الارتباط بأهل العلم وسؤال أهل العلم فإن

---

(١) سكت عن أبو داود (٤٨٧٨) وصححه المنذري وابن عبد الهادي في «الآدب الشرعية» (١/ ٣١) وعبد الحق في الأحكام الصغرى (٨٥٥) وابن باز في «فتاوية» (٥/ ٤٠١) والألباني في صحيح السنن (٤٨٧٨) والمشكاة (٤٩٧٣).

(٢) في شريط (فقه التعامل مع العلماء).

هذا سبيل النجاة وعلامة الخير لهذه الأمة، كم يحاول شياطين الإنس والجن أن يفصلوا بين الناس وبين علمائهم، وأن يوقعوا العداوة بينهم، من أجل أن يتمكن الأشرار من قيادة الأمة إلى الهلاك هذا ما يريدونه، هذه دسائسهم، وهذا شررهم، فالحذر من هذا، ولنقبل على طلب العلم من أهله من العلماء ونسأل أهل العلم إذا أشكل علينا شيء في أمور ديننا وفي أمور دنيانا

فالواجب أن نعرف قدر علماؤنا وأن نحترمهم وأن لا نقبل الوشاية فيهم، ما نقول إن العلماء معصومون، ولا يقع منهم أخطاء، بل يقع منهم ذلك، ولكن فضائلهم وما عندهم من الخير يغطي ما يقع عندهم من الأخطاء. اهـ.

الفصل السادس:
أسباب تنقص العلماء

لوقوع كثير من الناس في تنقص العلماء أسباب كثيرة منها :

١- الهوى : قال الله جل وعلا : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . وقال : ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ .

وقال شيخ الإسلام(١) : «صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه» فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين، أن الذي يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فإذا قدِّر أن الذي معه هو الحقّ المحض دين الإسلام - ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصد الحميَّة لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظم هو ويثني عليه، أو فعل ذلك شجاعة وطبعًا أو لغرض من الدنيا - لم يكن لله، ولم يكن مجاهدًا في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدعي الحق والسنة هو كنظيره معه حق وباطل، وسنة وبدعة؟! ومع خصمة حق وباطل وسنة وبدعة؟! وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، وكفَّرَ بعضهم بعضًا وفسق بعضهم بعضًا،

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٦).

ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. اهـ. وكان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين، صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه.

٢- التعالم: حيث يتكلم في عرض العالم ليفند قوله تقوية لقوله الضعيف وما أكثر المتعالمين في عصرنا. والتعالم سبب من أسباب الحديث في لحوم العلماء.

٣- التعصب للمذاهب والأشخاص والشيوخ.

٤- الحزبية المقيتة: التي احتوشت بعض الناس وأورثتهم التعصب البائد.

٥- صلابة العلماء في الحق وعدم قيادهم بأيدي الشباب وحسب أهواء الناس. كما قال بعض السلف: لم يبق لي الأمر وبالمعروف والنهي عن المنكر صديقاً.

روى أبو داود في سننه كتاب السنة باب من دعا إلى السنة: عن عُقيْلٍ عن ابنِ شِهابٍ أنّ أبا إدْرِيس الْخولانيّ عائِذ الله أخْبرهُ أنّ يزِيد بن عمِيرة - وكان مِنْ أصْحابِ مُعاذِ بنِ جبلٍ - أخْبرهُ قال: «كان لا يجْلِسُ مجْلِساً لِلذّكْرِ حِين يجْلِسُ إلاّ قال: الله حكمٌ قِسْطٌ هلك الْمُرْتابُون، فقال مُعاذُ بنُ جبلٍ يوْماً: إنّ مِنْ ورائِكُم فِتناً يكْثُرُ فيها المالُ ويُفْتحُ فيها الْقُرْآنُ حتّى يأْخُذهُ الْمُؤْمِنُ والْمُنافِقُ والرّجُلُ والْمرأةُ والصّغِيرُ والْكبِيرُ والْعبْدُ والْحُرّ، فيُوشِكُ قائِلٌ أنْ يقُول: ما لِلنّاسِ لا يتّبِعُونِي وقدْ قرأْتُ الْقُرْآن ما هُمْ بِمُتّبِعِيّ حتّى أبْتدِع لهُمْ

غيْرهُ، فإيّاكُم وما ابْتدع، فإنّ ما ابْتُدع ضلالةٌ، وأُحذّرُكُم زيْغة الْحكِيم فإنّ الشّيْطان قدْ يقُولُ كلِمة الضّلالةِ على لِسانِ الْحكِيم، وقدْ يقُولُ المُنافِقُ كلِمة الْحقّ! قال قُلْتُ لِمُعاذٍ: ما يُدْرِينِي رحِمك الله أنّ الْحكِيم قدْ يقُولُ كلِمة الضّلالةِ وأنّ المُنافِق قدْ يقُولُ كلِمة الْحقّ؟ قال: بلى اجْتنِبْ مِنْ كلامِ الْحكِيمِ المُشْتهِراتِ الّتي يُقالُ لها ما هذِهِ ولا يثْنِينّك ذلِك عنْهُ فإنّهُ لعلّهُ أنْ يُراجِع وتلقّ الْحقّ إذا سمِعْتهُ فإنّ على الْحقّ نُوراً».

قال أبُو داوُد قال معْمرٌ عن الزّهْرِيّ في هذا الحدِيثِ: ولا يُنْئِينّك ذلِك عنْهُ مكان يثْنِينّك.

وقال صالحُ بنُ كيْسان عن الزّهْرِيّ في هذا الحدِيثِ بالمُشْتبِهاتِ مكان المُشْتهِراتِ، وقال لا يثْنِينّك كما قال عُقيْلٌ وقال ابنُ إسْحاق عن الزّهْرِيّ قال: بلى ما تشابه عليْك مِنْ قوْلِ الْحكِيمِ حتّى تقُول ما أراد بِهذِهِ الْكلِمةِ.

الفصل السابع:
مواقف العلماء في الفتن

لقد دار الحديث عن موقف العلماء في الأزمة الراهنة وما هو واجب عليهم تجاه الأحداث الجارية حتى تجرأت الصحف ومن فيها من سقط المتاع إلى عمل مقالات وتحقيقات عن تقصير العلماء في البيان كما يزعمون. وأجريت لقاءات مع أناس متعالمين في فضائيات مشبوهة ليدور الكلام حول تنقص العلماء وكل ذلك على مرأى العيون ومسمع الآذان! دون نكير أو اشمئزاز من ذلك الطعن في قلب الأمة!

ومادرى هؤلاء الطاعنون في العلماء أنهم ينفذنون ما يريد الأعداء مجاناً أو بمقابل من زخرف الدنيا زهيد، فإن من مخططات اليهود ما جاء في بعض بروتوكولاتهم ونصه:

(وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين في أعين الناس وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي يمكن أن تكون عقبة كؤوداً في طريقنا، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضائل يوماً فيوماً) اهـ

إنه لا يستغرب أن يكون ذلك الانتقاص من السفهاء والماجنين وأعداء الدين، لكن يصيبك العجب والدهشة أن تراه من قبل من يتباكى على الدين ويحسب من الدعاة إليه!

يقول بعضهم في تشبيهه للعلماء: بأنهم كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، وبعضهم وصف العلماء بالمقصرين وحثهم على الابتعاد عن أطماع الدنيا والمساومة على دين الله.

ويقول إن العلماء لابد وأن يكونوا أحرارًا غير مقيدين في فتاواهم، وأن عليهم أن يتعاملوا مع كل حدث وفق ما تمليه الشريعة لا وفق ما تمليه حكوماتهم والأهواء الشخصية. وهو قول حق أريد به باطل ووضع في غير مكانه، كما قال الخوارج لعلي بن أبي طالب وهو يخطب قال أحدهم: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]. فقال: عليٌّ: كلمة حق أريد بها باطل!

وقول بعضهم: إن الأمة الإسلامية كلها تفتقر إلى قيادة علمية ترجع إليها وتصدر عنها وتقبل بقولها وتأخذ به وتثق بها ثقة طيبة.. الخ.

وهذه والله هي الفتنة، أن يتهم العلماء الصالحون بأنهم غير ثقات ولا عدول!!

وبعضهم يقول عن بعض كبار العلماء إنهم موظفون يعملون حسب مراد السلطان، ويقول: يصلحون أن يوقعوا في الكونغرس. ومنهم من قال هم في أبراج عاجية، أو لايفقهون الواقع ؟!!

إلى غير ذلك من الجور والظلم.

بل إن بعض الدكاترة لا يترك التعرض للعلماء في برامجه التلفزيونية واللقاءات الصحفية وتحميلهم كل ما يقع في الأمة من أحداث وأن الخطاب الديني لديهم ضعيف وأنهم لم يقوموا بواجبهم.

ولما حصلت بعض الأحداث المؤلمة من التكفير والتفجير في البلاد الآمنة ونشر الإرهاب، قام بعض الناس برمي التهمة على العلماء وأنهم مقصرون في عدم النزول للشباب !

فأقول: إن علماءنا لم ينعزلوا عن الشباب ولكن الشباب عُزلوا عنهم بل

اقتطعوا من دونهم بأيدي قطاع الطريق !

إن علماءنا أكثر الناس خلطة للناس بأنفسهم وبكتبهم المؤلفة، وبرامجهم الإذاعية، وتسجيلات دروسهم العلمية، وبهواتفهم التي توزع على عموم الناس ليتصلوا للاستفتاء، لم يحجبوا أنفسهم عن الناس؛ بل إن أعمالهم الوظيفية مرصودة لمصالح الناس من التدريس والإفتاء!

إن علماءنا مرجع لعموم الأمة في الفتوى والنوازل، وإن مواعظهم وفتاويهم أشفى لقلوب الناس من البلسم، لما يجدون فيهما من الطمأنينة والعلم النبوي (ونور على الدرب شاهد حي).

حتى جاء هؤلاء الصنف وزَهّدوا الناس بهم، وأنهم ليسوا بقدر المسؤولية أولم يقوموا بالواجب عليهم !!.

إن علماءنا أكثر الناس دروساً في الأماكن العامة لجميع الناس (المساجد) تجد لأحدهم كل يوم ما لا يقل عن درس يومي، مفتوح لمن شاء. ليسوا من الذين يعقدون الدروس خفية في المنازل والمكتبات المغلقة. !

ولو نظرنا في تاريخ الخوارج الذين خرجوا على الأمة يكفرون أصحاب رسول الله ﷺ وقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلى ابن طالب رضي الله عنه وغيرهم، ألم يخرجوا في زمن أصحاب النبي ﷺ وهم العلماء؟ ألم يخرجوا في زمن التابعين وفيهم كبار العلماء من السلف ؟

فهل السبب هو تقصير علماء الصحابة والتابعين، أم تهييج المفتونين وظهور المتعالمين فيهم وقطعهم الطريق دون العلماء من الصحابة والتابعين؟!

عن ابن عباس أن علياً أخرجه إلى الخوارج فكلمهم ففرق بينهم فقالت الخوارج: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ رواه عبد الله بن أحمد في السنة بإسناده صحيح. فطعنوا بابن عباس رضي الله عنهما بشيء وصف الله به كفار قريش وهو كثرة الخصومة؛ لأن ابن عباس خصمهم بالسنة فرجع كثير منهم ممن كان مغررًا به، فقال كبراؤهم أهل الضلالة والهوى في ابن عباس هذا القول لتشويه صورته عند أتباعهم!

وعن سعيد بن جهمان قال كنا مع عبد الله بن أبي أوفى نقاتل الخوارج وقد لحق غلام لابن أبي أوفى بالخوارج فناديناه يا فيروز هذا ابن أبي أوفى فقال: نعم الرجل لو هاجر. قال: ما يقول عدو الله؟، قلنا: يقول: نعم الرجل لو هاجر! فقال: أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ. يرددها ثلاثًا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**طوبى لمن قتلهم. وقتلوه**» ثلاثاً. أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٢) وابنه في السنة وابن أبي عاصم (٩٠٦) واللالكائي بإسناده حسن.

نعم إن الخوارج وجدوا من يهيّجهم على عثمان ممن أعرض عن علماء الصحابة وأشربت قلوبهم الفتنة، فصاروا يتهمون عثمان بالجور والظلم، بل بالكفر، فخرجوا عليه، وقتلوه ثم ألزموا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالبيعة ثم خرجوا عليه وقتلهم وقتلوه متقربين بدمه إلى الله سبحانه وتعالى!.

فيجب علينا أن نصدق الله ونقر بالحقيقة ونصلح الخطأ، ولا نكابر ولا نداهن، ولا نبري أنفسنا بتهمة غيرنا خاصة الأبرياء الذين هم عماد الأمة (العلماء) نهمشهم ونصرف الشباب عنهم ثم، نلومهم بحصول نتيجة صنيعنا! هذه قسمة ضيزى.

غيري جنى وأنا المعذب فيكمُ — فكأنني سبابة المتندمِ

ولقد حذرنا الله من تهمة البريء فقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾.

بالله عليك كيف يكون الشاب إذا سمع من يقول: إن الشيخ فلاناً عميل والشيخ فلاناً مداهن، وفلاناً غرته الدنيا، وآخر يقول عن أحد العلماء الكبار: هذا موظف! أو يقول: هذا يصلح أن يكون مفتياً في الكونغرس، ونحو ذلك من عبارات القدح والتهجين!؟.

كيف تتحمل نفس الغر المتحمس لما يسمع هذا القدح؟ هل تراه يذهب إلى ذلك العالم للاستفادة!؟ أم للازدراء والنصيحة، أو يعرِض ليخطفه قطاع الطريق ويربىٰ في أحضان الحزبيات وخطط التفجيرات!! ثم نقول: العلماء في معزل!

إن العلماء الكبار هم البركة كما قال النبي ﷺ: «**البركة مع أكابركم**» صححه ابن حبان والحاكم والألباني. وحذرنا النبي ﷺ من الأخذ عن الأصاغر فقال: «**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**» رواه ابن المبارك والطبراني وصححه الألباني.

إذاً ما الموقف الصحيح للعالم في الفتن والأحداث؟

هنا كلمة تأصيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية يحسن إيرادها:

قال رحمه الله[1]: «قد أمر الله ورسوله بأفعال واجبة ومستحبة وإن كان الواجب مستحباً وزيادة ونهى عن أفعال محرمة أو مكروهة. والدين هو طاعته وطاعة

(١) في الفتاوى (٢٠/ ٤٨-٥٩).

رسوله ﷺ وهو الدين والتقوى والبر والعمل الصالح والشرعة والمنهاج، وإن كان بين هذه الأسماء فروق.

وكذلك حمد أفعالاً هي الحسنات ووعد عليها. وذم أفعالاً هي السيئات وأوعد عليها. وقيّد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾.

وكل من الآيتين - وإن كانت عامة - فسبب الأولى المحاسبة على ما فى النفوس وهو من جنس أعمال القلوب، وسبب الثانية الإعطاء الواجب.

وقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية، وقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، وقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقد ذكر في الصيام والإحرام والطهارة والصلاة والجهاد من هذا أنواعاً.

وقال فى المنهيات: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾، وقال: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾،

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية.

وقال فى المتعارض[1]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾، وقال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، وقال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، وقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾، ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ﴾، وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾، إلى قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ﴾.

ونقول إذا ثبت أن الحسنات لها منافع، وإن كانت واجبة كان فى تركها مضار، والسيئات فيها مضار، وفى المكروه بعض حسنات.

فالتعارض: إما بين حسنتين، لا يمكن الجمع بينهما، فتقدم أحسنهما بتفويت المرجوح.

وإما بين سيئتين، لا يمكن الخلُّو منهما فيدفع أسوأهما باحتمال أدناهما.

وإما بين حسنة وسيئة لا يمكن التفريق بينهما بل فعل الحسنة مستلزم

---

(١) أي تعارض المصالح والمفاسد.

لوقوع السيئة وترك السيئة مستلزم لترك الحسنة: فيرجح الأرجح من منفعة الحسنة ومضرة السيئة.

إلى أن قال:

فتبين أن السيئة تحتمل فى موضعين: دفع ما هو أسوأ منها إذا لم تدفع إلا بها وتحصل بما هو أنفع من تركها إذا لم تحصل إلا بها.

والحسنة تترك فى موضعين: إذا كانت مفوَّتة لما هو أحسن منها أو مستلزمة لسيئة تزيد مضرتها على منفعة الحسنة، هذا فيما يتعلق بالموازنات الدينية.

إلى أن قال:

إذا كان المتولي للسلطان العام أو بعض فروعه، كالإمارة والولاية والقضاء ونحو ذلك، إذا كان لا يمكنه أداء واجباته وترك محرماته، ولكن يتعمد [من] ذلك مالا يفعله غيره قصدًا وقدرةً: جازت له الولاية وربما وجبت، وذلك لأن الولاية إذا كانت من الواجبات التى يجب تحصيل مصالحها- من جهاد العدو وقسم الفيء وإقامة الحدود وأمن السبيل- كان فعلها واجبًا، فإذا كان ذلك مستلزماً لتولية بعض من لا يستحق وأخذ بعضِ مالا يحل وإعطاء بعض من لا ينبغي، ولا يمكنه ترك ذلك صار هذا من باب مالا يتم الواجب أو المستحب إلا به، فيكون واجباً أو مستحباً إذا كانت مفسدته دون مصلحة ذلك الواجب أو المستحب.

بل لو كانت الولاية غير واجبة، وهي مشتملة على ظلم ومن تولاها أقام الظلم، حتى تولاها شخص قصده بذلك تخفيف الظلم فيها ودفع أكثره

باحتمال أيسره كان ذلك حسناً مع هذه النية، وكان فعله -لما يفعله من السيئة بنية دفع ما هو أشد منها- جيداً.

إلى أن قال:

ومن هذا الباب تولي يوسف الصديق على خزائن الأرض لملك مصر؛ بل ومسألته أن يجعله على خزائن الأرض، وكان هو[1] وقومه كفاراً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ الآية وقال تعالى عنه: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ الآية، ومعلوم أنه مع كفرهم لابد أن يكون لهم عادة وسنة فى قبض الأموال وصرفها على حاشية الملك وأهل بيته وجنده ورعيته، ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين الله، فإن القوم لم يستجيبوا له، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مالم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك، وهذا كله داخل فى قوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما فقُدِّم أوكدهما لم يكن الآخر فى هذه الحال واجباً، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تاركَ واجبٍ فى الحقيقة.

وكذلك إذا اجتمع محرمان، لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرمًا فى الحقيقة، وإن سمى ذلك ترك

---

(١) يعني ملك مصر.

واجبٍ وسمى هذا فعل محرمٍ، باعتبار الإطلاق، لم يضر، ويقال في مثل هذا: ترك الواجب لعذر وفعلٌ المحرم للمصلحة الراجحة أو لضرورة أو لدفع ما هو أحرم، وهذا كما يقال لمن نام عن صلاة أو نسيها إنه صلاها فى غير الوقت المطلق قضاء.

هذا وقد قال النبى ﷺ: «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فان ذلك وقتها لاكفارة لها إلا ذلك**».

وهذا -باب التعارض- باب واسع جداً لاسيما فى الأزمنة والأمكنة التى نقصت فيها آثار النبوة وخلافة النبوة فإن هذه المسائل تكثر فيها، وكلما ازداد النقص ازدادت هذه المسائل.

ووجود ذلك من أسباب الفتنة بين الأمة، فإنه إذا اختلطت الحسنات بالسيئات وقع الاشتباه والتلازم، فأقوام قد ينظرون إلى الحسنات فيرجحون هذا الجانب وإن تضمن سيئات عظيمة، وأقوام قد ينظرون إلى السيئات فيرجحون الجانب الآخر وإن ترك حسنات عظيمة. والمتوسطون الذين ينظرون الأمرين، قد لا يتبين لهم أو لأكثرهم مقدار المنفعة والمضرة، أو يتبين لهم فلا يجدون من يعنيهم العمل بالحسنات وترك السيئات، لكون الأهواء قارنت الآراء، ولهذا جاء فى الحديث: «**إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات**».

فينبغي للعالم أن يتدبر أنواع هذه المسائل وقد يكون الواجب في بعضها: العفو عند الأمر والنهي في بعض الأشياء لا التحليل والإسقاط:

مثل أن يكون في أمره بطاعة فعلًا لمعصيةٍ أكبَر منها، فيترك الأمر بها دفعاً

لوقوع تلك المعصية.

مثل أن ترفع مذنبا إلى ذي سلطان ظالم فيعتدي عليه في العقوبة ما يكون أعظم ضررًا من ذنبه.

ومثل أن يكون في نهيه عن بعض المنكرات تركًا لمعروف هو أعظم منفعة من ترك المنكرِات، فيسكت عن النهي خوفًا أن يستلزم ترك ما أمر الله به ورسوله مما هو عنده أعظم من مجرد ترك ذلك المنكر.

العالم تارة يأمر وتارة ينهي وتارة يبيح وتارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة، كالأمر بالصلاح الخالص أو الراجح أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح، وعند التعارض يرجح الراجح كما تقدم بحسب الإمكان.

فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن إما لجهله وإما لظلمه ولا يمكن إزالة جهله وظلمه **فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه**. كما قيل: **إن من المسائل مسائل جوابها السكوت**، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر.

فالعالم في البيان والبلاغ كذلك قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله ﷺ تسليما إلى بيانها.

يبين حقيقة الحال في هذا أن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

١-بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله.

٢-والقدرة على العمل به.

فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين أو حصل العجز عن بعضه كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلا **وهذه أوقات الفترات.**

فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما كان بيانه لما جاء به الرسول شيئا فشيئا بمنزلة بيان الرسول لما بعث به شيئًا فشيئاً. ومعلوم أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به. ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع.

فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته لا يبلّغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها.

وكذلك التائب من الذنوب والمتعلم والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم، فإنه لا يطيق ذلك وإذا لم يطقه لم يكن واجبًا عليه في هذه الحال.

وإذا لم يكن واجبًا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان كما عفى الرسول عما عفى عنه إلى وقت بيانه.

ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل وقد فرضنا انتفاء هذا

الشرط فتدبر هذا الأصل فإنه نافع.

ومن هنا يتبين سقوط كثير من هذه الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجباً في الأصل والله أعلم.

ومما يدخل في هذه الأمور الاجتهادية علما وعملا أن ما قاله العالم أو الأمير أو فعله باجتهاد أو تقليد فإذا لم ير العالم الآخر والأمير الآخر مثل رأي الأول فإنه لا يأمر به أو لا يأمر إلا بما يراه مصلحة ولا ينهى عنه إذ ليس له أن ينهى غيره عن اتباع اجتهاده ولا أن يوجب عليه اتباعه فهذه الأمور في حقه من الأعمال المعفوة لا يأمر بها ولا ينهى عنها بل هي بين الإباحة والعفو وهذا باب واسع جدا فتدبره. اهـ.

وقد بين الشيخ صالح الفوزان الموقف الصحيح في الفتن وموقف العالم منها فقال:

«الواجب على الجاهل أن لايتكلم وأن يسكت ويخاف الله عزوجل ولا يتكلم بغير علم قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] فلايجوز للجاهل أنه يتكلم في مسائل العلم ولاسيما المسائل الكبار مثل التكفير وأيضا الغيبة والنميمة والوقيعة في أعراض ولاة الأمور والوقيعة في أعراض العلماء، هذه أشد أنواع الغيبة نسأل الله العافية. فهذا أمرٌ لا يجوز.

ومسألة الأحداث، هذه الأحداث وأمثالها، هذه من شؤون أهل الحل

والعقد هم الذين يتباحثون فيها ومن شأن العلماء يبينون حكمها الشرعي، أما عامة الناس وأما العوام وأما الطلبة المبتدئون فليس هذا من شؤونهم قال الله جلا وعلا: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣] فالواجب إمساك اللسان عن القول في هذه المسائل، لاسيما التكفير ولاسيما الولاء والبراء فالإنسان جاهل بتطبيقه، قد يطبقه خطأ ويحكم على الناس بالضلال والكفر! ويرجع حكمه عليه، لأن الإنسان إذا قال لأخيه ياكافر أو يافاسق وهو ليس كذلك، رجع ذلك عليه والعياذ بالله، الأمر خطير جداً وعلى الإنسان الذي يخاف الله تعالى أن يمسك لسانه إلا من كان ممن وكل إليه الأمر وهو من أهل الشأن وولاة الأمور أو من العلماء فهذا لابد أن يبحث في هذا الأمر وينظر في الحل، أما إذا كان من عامة الناس وصغار الطلبة، فليس له الحق بأن يصدر الأحكام، على الناس ويقع في أعراض الناس وهو جاهل ويغتاب وينم ويتكلم بالتكفير والتفيسق وغير ذلك هذا كله يرجع إليه مايضر المتكلم فيه وإنما يرجع إليه.

على المسلم أن يُمسك لسانه وألا يتكلف مالا يعنيه.

الدعاء للمسلمين هذا أمرٌ واجب، إنك تدعوا للمسلمين بالنصر وتدعوا على الكفار بالعقوبة أما إنك تحكم، وتتناول الأحكام الشرعية وتخطئ وتصوب، تتكلم في أعراض ولاة الأمور وفي أعراض العلماء وتحكم عليهم بالكفر أو بالضلال هذا خطرٌ عظيم عليك أنت أيها المتكلم وأما هم فلايضرهم كلامك فيهم اهـ.

صدق حفظه الله فإن ضرر السب واللعن يعود على صاحبه إذا لم يكن المقولة به أهلاً لذلك كما في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**أيُّما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلّا رجع عليه**» متفق عليه. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

ملاحظات

ملاحظات

....

ملاحظات

ملاحظات